مقدمة

كان من المفروض بعد انتهائى من إنجاز كتابى «تاريخ اليابان» الحديث والمعاصر – عصرى طايشور شوا(١٩١٢م – ١٩٨٩م)«أن أبدأ فى كتابة تاريخ اليابان فى المرحلة السابقة عليها وهى مرحلة أو فترة ميجى. متخذا فى ذلك الطريقة العكسية فى عرض تاريخ هذا البلد المجهول إلى حد بعيد على القارئ العربى. أى أن أتناول تاريخ اليابان الأحدث فالأقدم حتى أعود القهقرى إلى الأزمنة العتيقة لليابان إذا شاء الله تعالى. ولكنى تلقيت دعوة كريمة من الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق – رحمه الله – لأن أتناول فى كتاب مستقل المقارنة بين الحلم اليابانى فى النهضة والتحديث ومثيله فى مصر. ولذلك توقفت عن عرض تاريخ اليابان واستطعت بفضل الله تعالى إنجاز كتاب «محمد على باشا والإمبراطور ميجى ما لهما وما عليهما – النهضة المصرية الحديثة والنهضة اليابانية الحديثة دراسة مقارنة». وبعد نشر هذا الكتاب عدت لهدفى الأول والأساسى فى كتابة التاريخ اليابانى بطريقة التتابع العكسى، إلى أن أحقق هدفى فى تغطية هذا التاريخ حتى عصوره السحيقة، محاولاً فى ذلك إزالة الغموض الذى يكتنف هذا التاريخ بالنسبة للقارئ المصرى والعربى. وعليه كان هذا الكتاب الذى يتناول الحلقة الثانية من حلقات التاريخ اليابانى – إذا صح القول، ويتناول كتابنا هذا عصر ميجى الذى يبدأ فى عام ١٨٦٨م حتى وفاة الإمبراطور فى عام ١٩١٢م حيث أصبحت مراحل التاريخ اليابانى منذ هذه الحقبة تبدأ بميلاد الإمبراطور وتنتهى بوفاته وذلك تقرر منذ مجىء الإمبراطور ميجى فيما يطلق عليه مرحلة تاريخية واحدة لإمبراطور واحد «Issei Ichigen».

لقد كان هدف كتابنا «محمد على باشا والإمبراطور ميجى...» المقارنة بين عصرين أو نهضتين مع إبراز الدروس والعبر التى يمكن أن نستخلصها من خلال تلك المقارنة. أما كتابنا هذا الذى بين يدى القارئ الكريم فقد حاولنا من خلاله سرد معظم أو كل الأحداث المهمة التى احتواها هذا العصر. ولم نقتصر فى ذلك على الأحداث السياسية فقط ولكن تطرقنا أيضا إلى الأحداث الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بقدر الإمكان، راعين فى ذلك أن نبسط من صعوبة فهم هذه الأحداث على القارئ العربى بشكل عام.

إننا لا نستطيع على الإطلاق أن نغفل أهمية كتب سابقة كتبت منذ سنوات ليست بالقليلة عن تاريخ عصر ميجى، مثل كتاب العالم الدكتور الراحل رءوف عباس عن المجتمع اليابانى فى عصر ميجى أو كتاب الدكتور فوزى درويش القيم «اليابان الدولة الحديثة والدور الأمريكى» الذى تناول فى جزء منه عصر ميجى، وهناك أيضا كتب قليلة جدا مترجمة عن هذا العصر. إلا أن هذه الكتب تناولت هذه الفترة بشكل عام، ولم تسرد أحداث هذا العصر بشكل تتابعى وشامل له. ولذلك ربما يعتبر كتابنا المتواضع هذا هو أول كتاب فى المكتبة العربية يتناول هذا العصر بشكل تتابعى محاولاً سرد كل أو معظم الأحداث التى وقعت خلاله.

إن أهمية عصر ميجى تكمن فى أنه كان البداية الحقيقية والفعلية للنهضة اليابانية الحديثة، وكذلك صعود اليابان إلى مرتبة الدول المتقدمة وتحقيقها لمرتبة متساوية مع هذه الدول. وهذه النهضة هى بلا شك الأساس الذى بنيت عليه حضارة اليابان وتقدمها فيما بعد، تماما كما كان الحال فى مصر فى كون أن نهضة مصر فى عصر محمد على باشا هى الأساس الذى بنيت عليه مصر الحديثة ولكن هذا لا يجعلنا أن نغفل أن المفاهيم الإمبريالية التى سادت عصر ميجى هى التى قادت اليابان إلى الطمع فى البلاد المجاورة، وهى التى قادت اليابان أيضا إلى طريق كئيب ومظلم قطعته، وبدأت مسيرته فى عصر ميجى وتوغلت فيه خلال حقبة شوا كما تناولنا فى كتابنا «تاريخ اليابان الحديث والمعاصر – عصرى طايشور شوا» وكيف أن هذه السياسة الإمبريالية الاستعمارية جلبت الكراهية والعدواة على اليابانيين من جيرانهم وما تزال تجاهد الآن محاولة إزالة الآثار السيئة لتلك السياسة.

والحقيقة أنه ليس جيران اليابان فقط هم من عانوا من سياسة اليابان الإمبريالية إبان عصر ميجى وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، بل إن اليابانيين أنفسهم عانوا أكثر من ذلك كثيرا جراء تلك النظرية الاستعمارية بسبب ما قدموه من تضحيات جسام، وهذا ما تناولناه فى كتابنا هذا من خلال الفصلين السادس والسابع.

لقد تصادف تزامن كتابتى للثلث الأخير من هذا الكتاب مع ثورة ٢٥ يناير العظيمة وما بعدها من أحداث جسام. ووجدت أن نسبة معينة من المصريين تعشق مصر وتنتمى بالولاء الجارف لها. ولكن للأسف فقد وجدت نسبة أخرى غير قليلة قد لا تمتلك هذه المشاعر؛ ففى حين كان هناك الكثير من الشباب الصغير يضحى بحياته ونور عينيه من

أجـل تغيير مصـر للأفضل كان هناك أناس آخرون ينتهـزون الفرصة لمخالفة كل القوانين ويفعلون أشياء يندى لها الجبين وذلك من أجل مصالحهم الخاصة، بل كثرت إلى حد بعيد المطالـب الفئوية فى أحلـك وقت من الثورة. الوقت الـذى كان يجب على الجميع تقديم التضحيات للعبور بمصر إلى بر الأمان. وهنا أود أن ألفت نظر بنى جلدتى من المصريين إلى ما احتواه هذا الكتاب من تضحيات جسـام بذلهـا اليابانيون وذلك من أجل رفعة بلادهم سواء فى الحرب أو فى السلم، وأؤكد أننى دائما ما أريد من وراء سرد تاريخ اليابان إلا أن يكون عظة ودروسـا لنا نحن المصريين من أجل أن نمضى ببلادنا نحو التقدم والرفعة وهذا ما ذكرنـاه فى بداية مقدمة كتابنا السـابق «محمد على باشـا والإمبراطور ميجـى»، وكان هدفنا من هذا الكتاب هو هدفنا نفسه من الكتاب الذى بين يدى القارئ العزيز.

يضم هذا الكتاب ثمانية فصول، تناول الفصل الأول منها الأوضاع السياسية والعسكرية فـى اليابان قبل بـزوغ ثورة ميجـى الإصلاحيـة، وكذلك كيفية معالجـة حكومة الباكفو (الحكومة العسـكرية التى سـبقت عهد ميجـى) للضغوط الغربيـة وخاصة الأمريكية لفتح أبـواب اليابان أمام حركة التجارة وأمام الدبلوماسـية الغربية. ثـم اضطرار اليابان لتوقيع عدة معاهدات مجحفة لها مع الغرب التى ستكون إحدى المشكلات التى ستواجه حكومة ميجـى. ونعرض أيضا من خلال هذا الفصل العديد من المشـكلات التى سـتواجه الباكفو سواء داخلية أو خارجية حتى كانت النهاية الحتمية لها بعد استحواذها على دفة الحكم لمدة ٢٦٠ عاما.

أما الفصل الثانى فقد تناولنا من خلاله ما حدث فى السـنوات الأولى من عهد ميجـى والخطـوات العديدة التى اتخذها الإمبراطور ميجـى ومن حوله من الساسـة لتدعيم قواعد نهضة اليابان الحديثة وإرسائها.

أمـا فى الفصل الثالث الذى جاء عنوانـه: «دولة قوية منفتحة على العالم» فقد تناولنا مجهودات حكومة ميجـى من أجل إنشـاء دولة قوية وغنية فى الوقت ذاته تسـتطيع أن تقـف كتفـا بكتف مع الدول المتقدمة، وذلك عن طريق إنشـاء جيش قوى وكيفية إنشـاء هـذا الجيش. وتحدثنا أيضا عن الإصلاح الضريبى الـذى طبقته اليابان من أجل الإصلاح الاقتصادى الشامل فى البلاد، والذى استلزم أيضا تنفيذ خطة للتنمية الصناعية وغير ذلك من الخطوات المهمة نستعرضها من خلال هذا الفصل.

وفى الفصل الرابع تناولنا كيف قبض السياسى أوكوبو توشيمتشى على مقاليد السياسة فى حكومة ميجى، ومدى حدة الصراع بينه وبين منافسيه وأهمهم الزعيم الوطنى سايجو تاكامورى، وهما يعدان ومعهما كيدو تاكايوشى الأعمدة الثلاثة التى قامت عليها ثورة ميجى الإصلاحية. كذلك تناولنا الثورات التى قامت ضد حكومة ميجى الجديدة وكيفية التصدى لها. وكانت أكثر التحديات صعوبة أمام الحكومة الجديدة هى حرب السينان التى سوف يكون الطرف المعادى لها هو سايجو تاكامورى وجيشه، وأخيرا عالجنا من خلال هذا الفصل ثورات الفلاحين العنيفة ضد حكومة.

أما الفصل الخامس فقد تناولنا من خلاله كيفية تشكيل الدولة الحديثة سياسيا وفكريا والصراع من أجل إنشاء البرلمان والدستور. وكذلك ظهور الحركات التى تنادى بالحقوق المدنية وكذلك من أجل تخفيض الضرائب، خصوصا أن الأزمة الاقتصادية قد وصلت إلى حد الاختناق مما حدا بوزير الخزانة ماتسوكاتا مايوشى إلى ممارسة سياسة اقتصادية صارمة ومدى نجاحه فى تطبيقها والمشاكل التى ستنجم عن تطبيق هذه السياسة، ثم تحدثنا أيضا عن إصدار الدستور وما يحتويه. وأخيرا تحدثنا عن تعديل المعاهدات المجحفة لليابان التى عقدتها مع الغرب فى أواخر عهد إيدو أو بالأحرى فى أواخر أيام حكومة الباكفو.

أما الفصل السادس فقد تناول علاقات اليابان بالعالم الخارجى وإدراك الساسة اليابانيين أن العالم يحكمه قانون الغابة ومن أجل ذلك خاضت اليابان حربين كبيرتين ضد الصين وروسيا فى خلال عشر سنوات فقط، واستطاعت تحقيق النصر فى الحربين وصعود أسهمها كدولة متقدمة قوية فى العالم. واستعرضنا أيضا نتائج هاتين الحربين على المواطن اليابانى سواء أكانت نتائج إيجابية أم سلبية. واستعرضنا أيضا سياسة اليابان نحو كوريا وأطماعها فيها ثم ضمها إليها فى النهاية فى عام ١٩١٠م وتلك تعتبر من أهم نتائج الانتصار فى الحرب ضد الصين وروسيا.

أما الفصل السابع فقد تناول القانون القديم الجديد الذى يجعل أعداء الأمس أصدقاء والعكس صحيح فيما سوف يحدث مع اليابان ووقوعها مع الصديق القديم الولايات المتحدة الأمريكية فى الصدام وعلى العكس توقيعها لمعاهدات تحالف ثلاثٍ تجارية مع روسيا. ثم تناول أيضا استمرار حكومات الميجى المتعاقبة من أجل تنفيذ الهدف الأكبر من ثورة

ميجـى جعل اليابان دولة غنية وقوية وذلك من خلال تنفيذ الثورتين الصناعيتين الكبريين الأولى والثانية. وتناول هذا الفصل أيضاً خصائص الرأسمالية اليابانية القوية الفنية وما نتج عنها من مشـاكل اجتماعية وبيئية. ثم ظهور الحركات الاشـتراكية التى أرادت أن تكبح جماح الرأسمالية الشرسة وما نتج عنها من قسوة نحو المواطن المسكين.

أمـا الفصل الثامـن والأخير من كتابنا هذا فقد تناول التطـور الحضارى والثقافى الذى حدث فى عصر ميجـى. واسـتعرضنا من خلال هذا الفصل التطور الكبير الذى حدث فى مختلف نواحى الثقافة من تعليم وعلوم وصحافة ونشر، وكذلك ميلاد جديد للأدب اليابانى ومدى إسـهام الأدب بجميع أجنحته فى معالجة المشاكل الاجتماعية والسياسية فى عصر ميجـى. كذلك تناولنا معالجـة لمختلف الاتجاهات الفكرية والمجهود الذى بذله المفكرون آنـذاك من أجل إثراء الحياة الفكرية فى اليابـان بالعديد من المؤلفات والمترجمات. كذلك تناولنـا مـن خلال الفصل الثامن قضية حرية الديانات التى كانت تتركز فى الأسـاس فى البوذية والشـنتوية ثم جاءت المسـيحية لتأخذ من حيز الفكر العقيدى دوراً لا بأس به ثم لم نغفل دور الكونفوشيوسـية كتعاليم ارتكز عليها الفكر السياسى اليابانى لاحتياجه لها. وفـى نهاية الفصل تناولنا الفنون بمختلـف فروعها ومدى التطور الذى حدث فيها جميعا وبلا استثناء.

وبعد اسـتعراضنا لما جاء فى ثنايا الفصول الثمانية التى ضمنها كتابنا هذا أود أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى بعض الملحوظات لعلها تسهل عليه قراءته، وهى كالتالى:-

١ - لإدراكنـا مدى صعوبة نطق الأسمـاء اليابانية، فقد حاولنا قـدر الإمكان كتابتها بالحروف اللاتينية بجانب كتابتها بالعربية حتى يتمكن القارئ من قراءتها قراءة صحيحة. كذلك فقد ذكرنا هذه الأسماء الخاصة بالأشخاص كما تذكر فى المراجع اليابانية؛ أى ذكر اسـم العائلة قبل اسم الشـخص نفسه حتى إذا أراد القارئ اسـتخدامها فى الحديث مع اليابانيين خاصة الطلبة والمرشـدين السـياحيين فإن ذلك يسـهل كثـيرا من الحديث مع الطرف الآخر.

٢ - حاولنـا أيضا قدر الإمكان كتابة المصطلحـات اليابانية التاريخية وغيرها كما هى باليابانيـة ولكن بالطبع بالحروف اللاتينية مع ترجمة لها بالعربية حتى يتمكن الباحثون فى التاريخ اليابانى من أن يقوموا بالبحث فيها بتعمق وبتوسع إذا أرادوا ذلك.

٣ – حاولنا الإسهاب فى شرح بعض المفاهيم فى التاريخ اليابانى وكذلك فى الثقافة اليابانية بشكل عام وفى عدة مواضيع حتى نزيل الغموض الكامن حولها بالنسبة للقارئ العربى الذى قد يقرأها للمرة الأولى.

وأخيرا، فلقد كان اعتمادى الأساسى فى كتابة هذا الكتاب على المراجع اليابانية. وأصدق القارئ القول: إننى بذلت مجهودا كبيرا ومضنيا من أجل إنجاز هذا الكتاب المتواضع. وأرجو أن يكون هذه بمثابة حافز لشباب الباحثين كى يتناولوا تاريخ اليابان فى الموضوع نفسه والفترة نفسها. فلا عجب فى ذلك فإنه قد صدر فى اليابان العشرات من الكتب تتناول الفترة نفسها على الرغم من دراستها فى المدارس والجامعات ومتابعتها من خلال الدراما التلفزيونية أو الأفلام السينمائية، إذن فهى دعوة صادقة لكل من يستطيع أن يدلو بدلوه فى هذا الفرع من الثقافة اليابانية.

وبعد، أرجو من القارئ أن يتغاضى عن خطأ قد يجده فى ثنايا هذا الكتاب، فقد حاولت قدر استطاعتى عدم الخطأ ولكن هذا مستحيل فإن الخطأ من الطبيعة البشرية. وقد يتجاوز القارئ عن خطأ ما إذا ما استشعر المجهود الذى حاولت بذله. والله المستعان.

هشام محمد عبد الرءوف حسن
مدينة السادس من أكتوبر – غرب سوميد
يناير ٢٠١٢م

□□□